مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد02 2023/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

علماء مالكية المغرب الأوسط في بلاد الحجاز ودورهم في الحركة العلمية (633-962هـ/1235-1554م)

Maliki Scholars of the Middle Maghreb in the Hijaz and their Rome in the Scientific Movement (633-962 A H/ 1235-1554 AD)

أ.د/ بلعربي خالد*

جامعة الجيلالي ليابس– سيدي بلعباس–الجزائر

belarbi.tlemcen@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/01/17 تاريخ القبول: 2023/04/05

ملخص:

تحاول هذه المداخلة التعرض **علماء** مالكية المغرب الأوسط في بلاد الحجاز ودورهم في الحركة العلمية (633-962هـ/1235-1554م) اذ على الرغم من الإضطرابات السياسية التي عرفها المغرب الأوسط خلال هذه الفترة فإن ذلك لم يمنع من ارتحال الكثير من العلماء خاصة المالكية منهم إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وقد كانت الحجاز هي الوجهة الأولى المفضلة لهؤلاء العلماء. ولاشك أن استقرار الأوضاع السياسية في الحجاز تلك الفترة وظهور شخصيات قوية وفرت الأمن والأمان والرخاء للحرمين الشريفين ، وقدمت الرعاية للعلم والعلماء، كما تنافس كل من دولة المماليك– التي حكمت مصر والشام والحجاز(648-923هـ/1250-1517م) و الدولة الرسولية في اليمن(626-858هـ/1229-1454م) لتقديم الدعم اللازم و الإنفاق على المؤسسات التعليمية هناك مما ساهم بقسط وافر في ازدياد علماء المالكية الوافدين على الحرمين ، الذين أبدعوا بفكرهم و علمهم فيما ساهم بقسط وافر في ازدياد علماء المالكية الوافدين على الحرمين ، الذين أبدعوا بفكرهم و علمهم في بناء و تنشيط الحركة العلمية بها.

الكلمات الدالة: المغرب الأوسط- المذهب المالكي- الحجاز- العلماء- الرحلة.

*المؤلف المرسل: بلعربي خالد، الايميل: belarbi.tlemcen@yahoo.fr

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract:

This presentation attempts to introduce scholars from the Middle Maghreb (Maliki in the Hijaz) and their role in the scientific movement (633-962 AH/ 1235-1554 AD), despite the political turmoil that the Middle Maghreb experienced during this period. This did not prevent many scholars, especially the Maliki scholars, from travelling to various Islamic countries. The Hijaz was the first preferred destination for these scholars..

The stability of the political situation in the, safety, and prosperity to the Mosques. It also raised interest among scholars, who ruled Egypt and Hijaz (648-923 AH/ 1250-1517) and the Rasuli State in Yemen (626-858 AH/ 1229-1454 AD). This contributed a great deal to the coming of researchers to the two Mosques. who excelled with their thought and knowledge in building and revitalizing the scientific movement there.

Keywords: Central Maghreb, Maliki School, Hijaz, scholars, the journey

مقدمة:

يعتبر الحديث عن المغرب الأوسط في جانبه العلمي وإسهاماته الحضارية عبر الفترات المتلاحقة من تاريخه الإسلامي موضوعا جديرا بالبحث والتعمق في مختلف جوانبه الزمنية ونواحيه الجغرافية ،فلم يكن المغرب الأوسط جسرا أو ممرا لقوافل العلماء والفقهاء والمتصوفة الذين امتلأت كتب التراجم والملاحم والتاريخ والأدب بأسمائهم وماخلفوه من تراث إسلامي مجيد ، بل مركز إشعاع ثقافي بامتياز، و ذلك بفضل علمائه الذين عملوا على نشر العلوم و المعارف في مختلف البلاد الإسلامية، و منها بلاد الحجاز.

وعلى الرغم مما تعرضت له بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة من ظهور الأطماع المرينية غربا و الحفصية شرقا و تسابق هاتين الدولتين للسيطرة عليه، إلا أنه تزامن وهذه الفترة ظهور حركة علمية، حيث ارتحل الكثير من العلماء خاصة المالكية منهم إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وقد كانت الحجاز هي الوجهة الأولى المفضلة لهؤلاء العلماء، و ذلك بهدف أداء فريضة الحج ،أو الرحلة في طلب العلم،أو للتدريس به. ولاشك أن استقرار الأوضاع السياسية في الحجاز تلك الفترة كان العامل الرئيس في جذب العلماء للاستقرار والمجاورة في الحرمين الشريفين ،فقد تمتعت مكة والمدينة في تلك الفترة بالاستقرار السياسي، وتوقفت

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الاضطرابات والصراعات بين الأشراف – حكام الحجاز وقتئذ – وظهرت شخصيات قوية وفرت الأمن والأمان والرخاء للحرمين الشريفين ، وقدمت الرعاية للعلم والعلماء، كما تنافس كل من دولة المماليك– التي حكمت مصر والشام والحجاز(648-923هـ/1250-1517م) و الدولة الرسولية في اليمن(626-858هـ/1229-1454م) لتقديم الدعم اللازم و الإنفاق على المؤسسات التعليمية هناك مما ساهم بقسط وافر في ازدياد العلماء الوافدين على الحرمين ،و منهم علماء المالكية المغرب الأوسط الذين أبدعوا بفكرهم و علمهم في بناء و تنشيط الحركة العلمية بها.

إشكال الدراسة:

إن جوهر الإشكال يدور حول مدى مساهمة علماء المغرب الأوسط في الحركة العلمية في بلاد الحجاز من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين،و يندرج تحت هذا الإشكال الأسئلة التالية :

-ماهي المكانة العلمية لبلاد المغرب الأوسط و بلاد الحجاز حتى القرن السادس الهجري(12م) ؟

- ماهي عوامل هجرة علماء المالكية في المغرب الأوسط لبلاد الحجاز خلال هذه الفترة؟

- ماهي أهم العلوم التي اجتهدوا فيها ؟

-ما حجم الإسهام العلمي لعلماء مالكية المغرب الأوسط في بلاد الحجاز؟أو بكلمة أخرى ما الدور العلمي الذي قدمه علماء المغرب الأوسط في بلاد الحجاز من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري(13-15م) ؟

فرضيات الدراسة:

تفترض الدراسة أن:

- هجرة علماء مالكية المغرب الأوسط إلى بلاد الحجاز كانت من أجل تلقي العلم فقط.

-علماء مالكية المغرب الأوسط ساهموا فقط في مجال التدريس.

-علماء المغرب الأوسط لم يتركوا تراثا علميا يدل على مساهمتهم في تطور الحركة العلمية في بلاد الحجاز.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الدراسات السابقة:

لقد تناولت العديد من المراجع لدور علماء مالكية المغرب الأوسط في الحركة العلمية ببلاد الحجاز، غير أنها تناولت الموضوع بشكل عرضي و لم تخصص له دراسة مستقلة تفي بالغرض المطلوب حيث لم تتطرق إلى الكثير من القضايا تم معالجتها في هذا البحث، و من الدراسات التي تعرضت للموضوع نذكر:

-دراسة **نوال عبد الرحمن الشوابكة** سنة(**1428**هـ/ **2008**م) و المعنونة ب"أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى القرن التاسع الهجري" ،والملاحظ أنّها سلطت على بواعث هذه الرحلات و أهمها و السياقات المعرفية في الرحلات، و قد أفادتني الدراسة فيما يخص العوامل التي ساهمت في هجرة علماء المغرب الأوسط إلى بلاد الحجاز.

-دراسة **الناجي لمين**(2016) و المعنونة ب" رحلات علماء المغربين الأقصى و الأوسط الملكية و آثارها العلمية من خلال القرنين السابع و الثامن الهجريين "، وهي عبارة عن دراسة شملت أهم العلماء الذين رحلوا خلال هذه الفترة، و آثارهم العلمية، و قد استفدت من هذه الدراسة في الجانب المتعلق بحركية علماء المغرب الأوسط العلمية في بلاد الحجاز.

-دراسة **عبد الرؤوف زواوي أحمد**(2021) **الموسومة ب:" الصلات بين المغرب الأوسط و الحجاز خلال القرنين7-9هـ/13-15م**، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة حمة لخضر بالوادي بقسم العلوم الإنسانية، تعرض فيها الباحث إلى الرحلات العلمية بين المغرب الأوسط و الحجاز خلال الفترة المدروسة ،كما تطرق فيها إلى التبادل العلمي الذي كان بينهما، بالإضافة إلى آثار هذه العلاقات العلمية على الجانبين، و قد استفدت منها في أصناف العلوم التي كانت تدرس من قبل علماء المغرب الأوسط في بلاد الحجاز.

أهمية الدراسة:

- تسليط الضوء و إماطة اللثام عن نخبة من علماء مالكية المغرب الأوسط ساهمت بقسط وافر في بلاد الحجاز في تنشيط الحركة العلمية بها.

-إبراز حجم حضور علماء مالكية المغرب الأوسط في بلاد الحجاز تدريسا و تأليفا.

-إبراز أهم مظاهر التأثير و التأثر الحاصل بين المغرب الأوسط و بلاد الحجاز خلال هذه الفترة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أهداف الدراسة:

إنّ إغفال مثل هذه المواضيع في التاريخ الإسلامي الوسيط يجعل فهمنا لماضينا ناقصا ومبتورا، كما يساعد هذا النوع من الدراسات سد بعض الثغرات في هذا التاريخ،و لهذه الدراسة العديد من الأهداف هي:

– أن يتعرف الدارس على حجم حضور علماء مالكية المغرب الأوسط في بلاد الحجاز في مختلف أصناف العلوم و المعرفة و كيف استطاعوا التوفيق بين الجانب العلمي و العملي في آن واحد فكان منهم المحدث و الفقيه و المقرئ، و كان هناك أيضا المؤدب و المؤذن و القاضي.

–أن يستعرض الدارس لمختلف العلوم التي برع فيها علماء المالكية في بلاد الحجاز في هذه الفترة.

منهج الدراسة:

أ– منهجية التحليل: اعتمد الدارس على المنهج التاريخي الذي يعتمد على تحليل الأحداث التاريخية، و ترجمة الأعلام المذكورين في الدراسة، مستخدما في ذلك ما يمكن استخدامه من مقومات البحث العلمي في صياغة البحث .

ب- مصادر البيانات: اعتمد الباحث على المصادر المكتوبة و المراجع العليقة بموضوع البحث و التي سيتم ذكرها في مراجع البحث.

ج– حدود الدراسة: و تتمثل في علماء مالكية المغرب الأوسط في بلاد الحجاز ودورهم في الحركة العلمية (633-962هـ/1235-1554م).

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى قسمين ،يتناول القسم الأول منها ،الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة،بينما يتطرق القسم الثاني إلى بلاد المغرب الأوسط وبلاد الحجاز في الفترة الممتدة(633-962هـ/1235-1554م) سياسيا و ثقافيا ، و كذا دوافع انتقال علماء المالكية إلى بلاد الحجاز، ثم إسهاماتهم في تفعيل الحركة العلمية هناك.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولا: : أوضاع بلاد المغرب الأوسط في الفترة الممتدة من633-962هـ/1235-1554م:

1 : الأوضاع السياسية:

عاش المغرب الأوسط مابين القرنين السابع و التاسع الهجريين(13-15م)، أوضاعا جد مضطربة نتيجة محاولات المرينيين في المغرب الأقصى، و الحفصيين في المغرب الأدنى التدخل في شؤونه الداخلية، و التلاعب بأقداره و مصيره، و محاولة الإطاحة به من كل جانب تمهيدا لاحتوائه، فقد عنت الدولة الزيانية التي كانت يتحكم المغرب الأوسط خلال هذه الفترة من كثرة التدخلات، و اضطر سلاطينها نتيجة لذلك إلى خوض عدة حروب مع جيرانهم المرينيين و الحفصيين من أجل الدفاع عن حدود دولتهم. فبمجرد أن ينهي الزيانيون حربهم مع المرنيين من المغرب و تقل أخطارهم ،تبرز أخطار الحفصيين من الشرق ،حيث تجدد أطماعهم على المغرب الأوسط محاولين السيطرة عليه و ضمه إلى دولتهم. لقد استطاع الحفصيون خلال هذه الفترة الهيمنة على الكثير من المناطق في المغرب الأوسط خاصة في الجهة الشرقية منه و ذلك بداية من حكم السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز 796هـ. (عبد العزيز فيلالي ،ج2002،1 ،ص7) و مما تجدر الإشارة إليه كذلك أن هذه الفترة كذلك قد شهدت تهالك أمراء بني زيان في الخلافات و الصراعات، بل و الحروب فيما بينهم أحيانا و ذلك من أجل إحكام قبضتهم على السلطة في تلمسان، و كان ذلك يحدث بتدخل المرنيين في الغرب، أو الحفصيين في الشرق، حتى صار حكام بنو زيان المتأخرين لعبة في يد البيت المريني و الحفصي، يتحكمون فيهم بالترهيب حينا، و الترغيب أحيانا، و هو ما أضعف كيان الدولة، و كسر بنيتها بهذا التدخل المستمر، و أصبح أعضاء البيت الزياني يتسابقون إلى كرسي العرش عن طريق مدينة فاس أو تونس، و يتنافسون على رضا سلاطينها، و نيل حظوظهم.(يحي بوعزيز، 1975، ص 25) و مثالنا في ذلك أنه عندما حاول السلطان الحفصي أبو عمر عثمان غزو المغرب الأوسط سنة 867هـ/1462م راسله السلطان الزياني أبو ثابت محمد المتوكل على الله(866-873هـ/1462-1468م) قبل وصوله ينشد الطاعة و يقدم الولاء مجنبا المغرب الأوسط من أهوال الحرب(الزركشي،تونس ، ص ص 136،137)،و عندما حاول السلطان الزياني أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي(873-910هـ/1468-1505م) أن يقاوم تسلط الحفصيين، و أعلن قطع الدعوة لهم على منابر تلمسان قاوموه

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

و أرغموه على الخضوع و الاستسلام، لأن الدولة الزيانية خلال هذه المرحلة كانت في حالة ضعف شديد لا تقوى على مواجهتهم(يحي بوعزيز، 1975، ص 23) .و فأصبح كل مايهم السلاطين الزيانيين خلال هذه الفترة هو الوصول إلى الحكم و لو على حسابالسيادةوالإستقلال (التنسي الجزائر1985،ص ص241،271).

علاوة على ذلك، كان المتنافسون من البيت الزياني خلال هذه الفترة يضطرون إلى الاستعانة بالقبائل العربية كبني عامر و الدواودة و أولاد سعيد، و الشابيين و ذلك من أجل الوصول إلى السلطة، و هو ما أدى إلى ضعف الدولة الزيانية، فدخلت بذلك في مرحلة الإنعاش بحيث أخذت تلفظ أنفاسها شيئا فشيئا مع مرور الأيام فضلا عن السنوات. كما ساعد على ضعفها كذلك الحروب الداخلية التي كانت تندلع من قبل المناهضين لسلطانها من القبائل مثل مغراوة بنو عامر(مولاي بلحميسي. 1975، ص ص 33-34).

إن الضعف الذي لحق بدولة بني زيان و الحروب الذي كان المغرب الأوسط مسرحا له و الروابط القبلية التي كانت تطبع مجتمع المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة، أدى إلى انفصال العديد من القبائل و ظهور إمارات ترفض الخضوع لسلطة الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، و من القرائن الدالة على ذلك إمارة بنو جلاب في تقرت بقيادة سليمان المريني الجلابي(صالح عباد،2005، ص10) و لم تكن الوضعية السياسية على السواحل تختلف عن وضعية أطراف الصحراء، فقد كانت بعض المدن تعيش في نوع من الاستقلال عن السلطة الزيانية ،كما هو الحال بالنسبة لوهران التي وقعت بيد الإسبان سنة 905هـ/1510م. و بجاية في نفس السنة(عبد العزيز فيلالي، ج1 ، 2002 ، ص75).

وهكذا يتبن لنا مما سبق أن بلاد المغرب الأوسط عانت في تلك الفترة من استمرار الفتن والاضطرابات وسعى كل من الحفصيين والمرينيين لتحقيق طموحاتهم السياسية، وفرض السيطرة على كافة الأراضي ببلاد المغرب والتوسع على حساب جيرانهم وكانت الدولة الزيانية في كثير من الأحيان ضحية هذه الطموحات.

2: الأوضاع العلمية:

على الرغم من الحياة السياسية القلقة و المتدهورة التي عاشها المغرب الأوسط خلال هذه الفترة نتيجة التدخل الحفصي و المريني في شؤون الدولة الزيانية، فإن ذلك لميؤثر بشكل كبير على الحركة العلمية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

به فيه، أو تعرقل نموها إذ لم يمنع ذلك من تطور العلوم و ظهور الكثير من فطاحل العلماء خلال هذه الفترة(عبد الحميد حاجيات، 1975، ص 138) ، و ذلك بفضل رعاية سلاطين بني زيان للعلم و العلماء في المقام الأول، و مثال على ذلك ما اشتهر به السلطان يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية في المغرب الأوسط(633-681هـ/-/1235-1282م) ، الذي كان يوقر العلماء و يرفع من شأنهم، و استمر اهتمام الزيانيين بالمغرب الأوسط بالعلم و العلماء في عهد أبي حمو موسى الأول(707-718هـ/1307-1318م) ، الذي جعل من تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء من كل حدب و صوب. كما شهد عهده بناء مدرسة ابني الإمام التي عين على رأس هيئة التدريس بها ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمن (ت743هـ/1342م) و أخوه أبو عيسى(ت749هـ/1348م) (عبد العزيز فيلالي، ج2 ، 2002 ، ص142). كما شيد هذا السلطان الطموح المدرسة التاشفينية بجانب المسجد الأعظم تكريما للفقيه أبي موسى عمران المشدالي (عبد العزيز فيلالي، ج2. 2002 ،ص175).

و زاد اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم و العلماء في القرن الثامن الهجري(14م) ، و مثال ذلك أبي حمو موسى الثاني(760-791هـ/1359-1398م) الذي قال فيه ابن الأحمر"تمسك بالعلم في سماء المعالي و برع في نظم القريض و جمع نور الأريض و جاز في الشرف بذلك ما أنسى به شرف كل مالك" (ابن الأحمر، 1396هـ/1976م ص53)، كما أنه قام ببناء المدرسة اليعقوبية و أوكل لأبي عبد الله الشريف الحسني التدريس فيها(ت771هـ/1370م) (التنسي، 1985، ص180) .

وظل المغرب الأوسط محافظا على مكانته العلمية حتى في القرن التاسع الهجري (15م)فقد ظل يعرف تقدما في سائر المجالات الثقافية، فقد بنى السلطان أبو العباس أحمد المعتصم(834-866هـ/1431-1462م) مدرسة جديدة بزاوية الشيخ الصالح الحسن بن مخلوف أبركان على غرار أسلافه من سلاطين بني زيان الذين سبقوه في هذا المجال(التنسي، 1985، ص248).و من العلماء الذين كان لهم دور كبير في دفع الحركة الفكرية و العلمية خلال هذه الفترة أبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق الحفيذ (ت 842هـ/ 1438م) الذي أخذ العلم على يد سعيد العقباني و الشريف التلمساني و المصمودي، و أبي الحسن الأشهب، و منهم كذلك أبو عبد الله الحباك المتوفي سنة 867هـ، مؤلف شرح تلخيص ابن البناء، و أرجوزة بغية الطالب في علم الأسطرلاب، و شرح التلمسانية في الفرائض(التنبكتي أحمد بابا، ب ت ،ص316) و منهم محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن الإمام التلمساني المتوفي سنة (845هـ

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

/ 1441م) الذي كان له قدم في البيان و التصوف و الأدب و الشعر و الطب(عبد العزيز فيلالي، 2002 ،ج2 ،ص 335)، و كذلك قاسم بن سعيد العقباني (854هـ/1450م) الذي حضر المجالس العلمية التي كان يديرها الشيخ العالم ابن حجر بمصر و القاهرة((عبد العزيز فيلالي، 2002 ،ج2 ،ص 335). و منهم محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الشهير بالحفيذ (842 / 1438م) الذي يعد من أكبر فقهاء المرازقة، و ملك ناصية البيان و اللغة، كذلك كان ملما بالتصوف(عبد الحميد حاجيات، 1975، ص 139)، و قد عرف القرن التاسع الهجري(15م) ظهور المصنفات اللغوية و الأدبية، فقد اهتم الشيخ أبو عبد الله محمد الشريف (ت 847 / 1143م) إمام جامع الخراطين بتلمسان بتصنيف مختصرا في شرح التسهيل، تقييدا سماه "الثاقب في لغة ابن الحاجب" (ابن مريم،، الجزائر ص 220) و قد ألف السنوسي : الدر المنظوم في شرح قواعد ابن آجروم و هو شرح للأجرومية (عبد الحميد حاجيات، 1975، ص 148). كما ظهر في هذا العصر من أبو الحسن علي بن محمد القرشي البسطي القلصادي نزيل تلمسان، كان نابعا في الرياضيات و الفرائض و غيرها من العلوم ،من تأليفه كشف الحجاب عن قانون الحساب، و شرح ابن ياسمين في الجبر و المقابلة و مختصره، و شرح فرائض مختصر خليل ((عبد الحميد حاجيات، 1975، ص 154)كل هذا يدل على أن ازدهار الحركة العلمية خلال هذه الفترة و الذي شمل مختلف العلوم.

ومما سبق يتضح لنا تعرض بلاد المغرب الأوسط مابين القرنين السابع و التاسع الهجريين، لاضطراب في الأوضاع السياسية ، إلا أنه على الرغم من ذلك نشطت الحركة العلمية به ، ولعل ما مرت به بلاد المغرب الأوسط من اضطرابات سياسية كان أحد العوامل التي دفعت بعلمائه للسفر والارتحال إلى المشرق – وبلاد الحجاز خاصة –لطلب العلم وأداء فريضة الحج و التدريس والمجاورة في الحرمين الشريفين ،مهوى الأفئدة ومنتهى غايات المغاربة.

ثانيا: بلاد الحجاز في الفترة الممتدة من633–962هـ/1235–1554م.

1 :الأوضاع السياسية:

لم تعرف الحجاز استقرارا سياسياً خلال من القرن السابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري ،حيث اشتعلت الفتن والصراعات الأسرية بين الأشراف أنفسهم من أجل السيطرة على الشرافة، كما

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

عرفت الحجاز تدهورا سياسيا نتيجة ضعف سلطة الأمراء الذين توالوا على حكم إمارة الحجاز، . وهو ما جعل التنافس يشتد بين الدولة الرسولية في اليمن ،والأيوبيين ،ومن ثم المماليك في مصر على بسط نفوذهم في الحرمين خاصة والحجاز بشكل عام (المطيري نبيلة بنت سعود،1436هـ/2010م، ص35.) ،محاولة كل طرف أن يكون له شرف خدمة الأماكن المقدسة، ففي سنة 659هـ/1261م . حاول الملك المظفر أن يستميل إليه أهل الحجاز عن طريق تقديم العطايا و الهدايا،كما أن المماليك حاولوا استغلال الصراعات الداخلية بين الأشراف لفرض نفوذهم و سيطرتهم على الحجاز، فكثيرا ما تدخلوا عن طريق مساندة طرف على الآخر أو الإصلاح بين المتنازعين، كما حصل عام 668هـ عندما حث الملك" الظاهر بيبرس" الشريف" أبي نمي" على إقامة العدل وترك الظلم كما قام بفض النزاع بين أبي نمي وعمه إدريس بن قتادة المتصارعين على شرافة مكة وإشراكهما في الحكم (در، عبد الباسط،2013 ص51.)

مع بداية القرن التاسع الهجري ،شهدتا الحجاز استقراراً سياسياً، وذلك مع تولى الحكم شخصيات من الأشراف اتصفوا بالقوة،منهم الشريف حسن بن عجلان الذي بلغ من القوة والجاه بأن حاول غزو اليمن سنة 812هـ، وابنه محمد بن بركات بن عجلان الذي تولى حكم الحجاز سنة829هـ(بيومي، محمد علي 2006 م،ص 1)، استمر الشريف محمد بن بركات يحكم مكة قرابة أربعة وأربعين عاماً (859-903هـ)) ،وهي أطول فترة تولاها أمير مكة بمفرده دون انقطاع. ،ورغم الاضطراب الشديد الذي شهدته مكة خاصة والحجاز بشكل عام بعد وفاة الشريف محمد بن بركات بسبب صراع أبنائه على السلطة، إلا أنه تمكن من تثبيت الأمور في بلاد الحجاز و تحقيق الاستقرار السياسي لها. و قد بقيت الأوضاع على حالها إلى غاية دخول الحرمان الشريفان خاصة والحجاز عامة سلماً في طاعة العثمانيين سنة920هـ – 1517م. (المكي محمد الأمين،2005 م، ص، 8).

2 : الأوضاع العلمية:

شهدت بلاد الحجاز، خاصة مكة والمدينة خلال هذه الفترة نهضة علمية كبيرة، تعددت فيها مناشط الحركة العلمية، وتنامت فيهما أعداد المهتمين بالعلم، سواء كانوا من سكان هاتين المدينتين، أو من غيرهم من الوافدين من الأقاليم المختلفة، ونظراً لعدم استيعاب أماكن التدريس المتوفرة حينذاك في مكة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والمدينة للأعداد الكبيرة من العلماء وطلاب العلم، ورغبة أهل الخير من السلاطين والأمراء في المشاركة في دعم هذا الحراك العلمي النشاط في الحرمين الشريفين(المطيري ، ،1436هـ/2010م، ص61).

كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزين هامين من مراكز العلم في الدولة الإسلامية، ويُعد الحرمان الشريفان من أبرز المراكز العلمية في هاتين المدينتين((المطيري ، ،1436هـ/2010م، ص36).،وقد شهدت الحركة العلمية تطورا كبيرا خلال هذه الفترة و لعل ذلك راجع بالأساس إلى اهتمام الحكام الأشراف في بلاد الحجاز بالعلم و العلماء والاهتمام بهم والتقرب إليهم، والإنفاق على مؤسسات التعليم فيها كالمدارس والكتاتيب والأربطة، وتزويد دور الكتب، و من أهم المدارس التي دفعت بالحركة العلمية في بلاد الحجاز نذكر على سبيل المثال لا الحصر مدرسة الزنجيلي، و مدرسة المنصورية و مدرسة طاب الزمان(عبد الله عبد الرحمن، 1421هـ -2000م ، ص21) و غيرها من المدارس، و ازدهرت حلقات التدريس في بلاد الحجاز عامة و بلاد الحرمين في هذه الفترة وكان المسجد النبوي أشبه بجامعة مفتوحة فيها شيوخ مقيمون يديرون حلقاتهم لسنوات طويلة ويتخرج منها العشرات من طلاب العلم يتحول معظمهم إلى شيوخ في المدينة وفيها شيوخ زائرون قدموا المدينة في زيارة قصيرة أو جوار محدود وكانت شهرتهم قد سبقتهم إلى المدينة، ومثلما تتعدد شخصيات شيوخ الحلقات وبلادهم تتعدد الموضوعات التي يدرسونها والعلوم التي يفيضون بها على مستمعيهم ويجيزون لمن يبرع في استيعابها(نوال عبد الرحمن الشوابكة1428هـ-2008م.ص27.)

و بالتالي فإن عدم الاستقرار السياسي في بلاد الحجاز في هذه الفترة لم يؤثر على تطور الحركة العلمية و استمراريتها، بل نشطت مما كان له الأثر الايجابي على تشجيع علماء مالكية المغرب الأوسط للمساهمة فيها.

ثالثا: دوافع انتقال علماء مالكية المغرب الأوسط إلى بلاد الحجاز في هذه الفترة:

1- العامل الديني:

يعتبر من بين أهم العوامل التي دفعت بعلماء مالكية المغرب الأوسط للانتقال إلى بلاد الحجاز، هو الرغبة الجامحة في أداء فريضة الحج، وذلك لكون المغاربة أكثر تعلقا بالروحانيات الإسلامية، حيث كانت تساور النفوس فكرة مغادرة الأوطان لتأدية فريضة الحج(نوال عبد الرحمن الشوابكة1428هـ-2008م.ص23.)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

لقد كان السفر لأداء فريضة الحج هو ما كان يتمناه كل مسلم، وحلم غالي يسعى لتحقيقه، ويقتضي هذا العامل أيضا زيارة قبر الرسول صلى الله عليه و سلم ، و المزارات الدينية الأخرى كمسجد الحرمين الشريفين، و قبور الأنبياء و الصحابة، فالحج من أهم الوشائج التي ربطت علماء مالكية المغرب الأوسط بالمشرق الإسلاميو عملت على توحيد الثقافة في سائر البلاد الإسلامية(المطيري، 1436هـ/2010م، ص35، ص63). وبالرغم من ذلك لم تقف المسافات ومشقة السفرعقبة في تحقيق هذه الأمنية الغالية على قلب كل علماء المغرب الأوسط، يدفعهم إلى ذلك الشوق والحنين للأراضي التي شهدت بزوغ فجر الإسلام، ليشع بنوره على مشار(محمود محمد خلف. 2020.ص108).

إن المكانة الروحية التي تمتعت بها مكة أسهمت بقسط كبير في استقطاب علماء المغرب الأوسط في هذه الفترة الذين توافدوا عليها حجيجا من أجل أداء فريضة الحج باعتبارها الركن الخامس من أركان الإسلام الخمسة خاصة إذا توافرت له شروط القدرة و الاستطاعة قال الله تعالى:" ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ** ﴾(. سورة الحج ،الأية27).

ولعل هذا الدافع ينطوي على دافع نفسي ، نلحظه في شدة تعلق علماء المغرب الأوسط بزيارة الأماكن المقدسة والمجاورة بها إلى أن تحضرهم الوفاة، فيدفنون في أرض طيبة بجوار الصحابة ، و التابعين ، فابن مرزوق الخطيب (781هـ-1379م) والذي كان من أكابر علماء المالكية في عصره، تمنى أن يموت أثناء حجه و يدفن في الحرمين (أبو عبد الله محمد ابن مرزوق 2008ص147).

2- العامل الثقافي(طلب المعرفة):

ظل العامل الثقافي مرتبط بالعامل الديني ،فالدين نفسه يدعو إلى طلب العلم، فقد حث الرسول عليه الصلاة و السلام على طلب العلم و الرحلة في سبيله، ومن ذلك قوله صلى الله عليه و سلم "...**ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، و ذكرهم الله فيمن عنده**"(أبو عبد الله بن يزيد القزويني. 1998 ، ج ،1ص82). وموسم الحج، و إن كان موسما دينيا، إلا أنه يعد ملتقى ثقافيا تجتمع فيه الفئات المثقفة من العلماء، بل حتى المثقفين الذين جاءوا لأداء فريضة الحج،إذ أن حلقات الوعظ، و الإرشاد، و الحديث، و جلسات العلمو الأدب،كانت

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

و لا تزال تعقد في المسجد الحرام و المسجد النبوي، يحضرها كل من يرغب أن يتفقه في دينه و الأخذ عن الشيوخ و مجالستهم(الصادقي حسن، 2015، ص299) لذا لا نستغرب أن معظم علماء مالكية المغرب الأوسط الذين يمموا وجوههم شطر بلاد الحجاز في هذه الفترة لم يكن بدافع الحج فقط ، و إنما كذلك تحقيق طموحهم العلمي(عبد الرؤوف زواوي أحمد ،2020-2021 ،ص15) بل ضرورة لازمة، فالحج كان بمثابة جامعة ثقافية ، و قد كثرت رحلة علماء المغرب الأوسط إلى الحج لطلب العلم، و في ذلك يقول ابن خلدون في المقدمة: "**إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك: أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة: علما وتعليما ولقاء، وتارة: محاكاة وتلقينا بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها وتفتحها،فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال**..." (عبد الرحمن ابن خلدون،(ب ت) ج1، ص541.).

ولم يقتصر دور علماء مالكية المغرب الأوسط في أداء فريضة الحج و طلب العلم ،بل من كان من تصدى للتدريس و القراءة هناك فانطلقوا يدرسون ما يجيدون و يلقنون ما يعلمون من علوم مختلفة ،و قد حفلت كتب التراجم و الرحلات تزويدنا بالكثير من علماء المغرب الأوسط المدرسون خلال هذه الفترة في المؤسسات التعليمية مثل المدارس و المساجد ، بل نافسوا العلماء هناك و أثبتوا جدارتهم في ذلك، و نالوا مكانة مرموقة و محترمة حيث ارتقوا إلى صدارة الإفتاء و المشيخة العلمية(عبد الحميد حاجيات1997 ص186.)

3- العامل الاقتصادي:

عانى المغرب الأوسط من أزمات اقتصادية في هذه الفترة و الناتجة عن الصراع المحتدم الذي كان بينه و بين جيرانه المرنيين و الحفصيين، أدى ذلك إلى تأخر التجارة بل ضعفها في الكثير من الأحيان،وهو ما دفع السلطة الزيانية الحاكمة للبحث عن موارد مالية من أجل تمويل تلك الحروب عن طريق دفع رواتب الجند ، و تلبية حاجيات ساكنة المغرب الأوسط(عبد الرؤوف زواوي أحمد،2020-2021 ، ص18).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كان البحث عن الموارد المالية يقتضي فرض ضرائب مالية مجحفة على الساكنة، ومن القرائن الدالة على ذلك ما أشار ابن مرزوق في المسند إلى أن السلطان الزياني أبا تاشفين الأول(ت781هـ) فرض ضرائب مجحفة على أهل تلمسان و ماجاورها، حيث فرض الضرائب حتى على البيض و الحطب و التبن، و ما يحتاجه الناس في أمر معاشهم(ابن مرزوق،1981،ص285) . كما أشار ابن صعد التلمساني في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي إلى كثرة الضرائب التي فرضها ولاة الدولة الزيانية في المغرب الأوسط على الساكنة و التي أثقلت كاهلهم(محمد بن صعد الأنصاري2002 ص22).

أمام هذه الأوضاع الاقتصادية المزرية التي عاشها المغرب الأوسط في هذه الفترة، لم يجد علماء المالكية بدا من التوجه إلى بلاد الحجاز بحثا عن تحسين وضعيتهم الاقتصادية المزرية ،و قد أشارت كتب التراجم عن هجرة علماء المغرب الأوسط إلى بلاد الحجاز بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية، ،فقد هاجر أحمد بن يحي بن عيسى بن عياش (ت860هـ/1456م) إلى الحج حيث ظل يشتغل بالتجارة هناك(عبد الرؤوف زواوي أحمد، 2020-2021 ، ص19).

4-العامل السياسي:

،فقد كان. شكل العامل السياسي كذلك عاملا رئيسيا في هجرة علماء المغرب الأوسط إلى بلاد الحجاز المغرب الأوسط خلال هذه الفترة يعيش أوضاعا جد مضطربة نتيجة محاولات المرينيين في المغرب الأقصى والحفصيين في المغرب الأدنى التدخل في شؤونهالداخلية، و التلاعب بأقداره و مصيره، و محاولة الإطاحة به من كل جانب تمهيدا لاحتوائه، و اضطر سلاطينه لذلك إلى خوض عدة حروب مع جيرانهم المرينيين و الحفصيين من أجل الدفاع عن حدود دولتهم. فبمجرد أن ينهي الزيانيون حربهم مع المرنيين من الغرب و تقل أخطارهم تبرز أخطار الحفصيين من الشرق، حيث تجدد أطماعهم على المغرب الأوسط محاولين السيطرة عليه و ضمه إلى مملكتهم الحفصية (بلعربي خالد2014 ص35-42).

لقد أشارت المصادر خاصة كتب التراجم إلى هجرة علماء المغرب الأوسط إلى بلاد الحجاز بسبب سوء الأوضاع السياسية سيما في فترة الحصارات(مزدور سمية،2008-2009،ص238) ، ينهض ذلك على ذلك أن في نهاية القرن السابع الهجري عرفت تلمسان مجاعة شديدة بسبب الحصار الطويل الذي فرضه السلطان أبو يعقوب يوسف المريني عليها، من الثاني من شعبان 698هـ/1299م وانتهاء في ذي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

القعدة سنة 706هـ/1306م، أي أنه استغرق مدة ثماني سنوات وثلاثة أشهر، كان لهذا الحصار وقع شديد على سكان مدينة تلمسان بحيث أحاط العسكر بها من جميع جهاتها، وفقدت فيه الدولة الزيانية معظم مدنها بالمغرب الأوسط، و نتيجة لذلك نال سكان تلمسان الجوع ما لم ينل أمة من الأمم. "فاضطروا إلى أكل الجيف و القطط و الفئران" ،كما تسبب في هجرة عالم المالكية في تلمسان، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي مشرقا للحج نتيجة تدهور الأوضاع بتلمسان (ابن خلدون ، 2004 ص41.)

يمكننا القول أن الظروف السياسية القلقة و السيئة التي عرفها المغرب الأوسط في هذه الفترة شكلت هاجسا بالنسبة لعلمائه المالكية التي اضطرتهم هذه الأوضاع للبحث عن أفضل مكان للعيش و البحث عن الأمن و الأمان، وكانت بلاد الحجاز هي المكان المفضل لهؤلاء حيث وجدوا فيه راحتهم النفسية و العلمية ،يظهر ذلك في العد د الهائل من هؤلاء العلماء الذين استقروا في مكة و المدينة(عبد الرؤوف زواوي أحمد، 2020-2021 ، ص21.).

رابعا: إسهامات علماء مالكية المغرب الأوسط في الحركة العلمية ببلاد الحجاز.

وبناء على ما سبق من توافر العوامل المؤهلة لإسهامات علماء مالكية المغرب الأوسط في الحركة العلمية في بلاد الحجاز ، فقد زخرت كتب التراجم و السير بالعديد من هؤلاء العلماء وعرض إنجازاتهم في الحياة العلمية في هذه الفترة ، و سنذكر إسهامات هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر ، لأننا لو تتبعنا هؤلاء العلماء بالإحصاء لطال موضوع هذا البحث و هذا لكثرة عددهم فقد شاركوا في نشر العلم في بلاد الحجاز بجميع أنواعه سواء في العلوم النقلية أو العقلية.

1-العلوم النقلية:

* العلوم الدينية:

تميزت هذه الفترة بتأثير الدين على الحركة العلمية إذ كان هو السائد على عقول الناس، و لهذا وجه العلماء اهتمامهم بهذه العلوم التي تطورت و ازدهرت ازدهارا كبيرا و لاسيما في القراءات ، و الحديث، و الفقه و الأصول ،و كثر المشتغلون بها لأنها تعد من العلوم المحمودة المفروضة على كل مسلم و مسلمة أن يلم على الأقل بالحد الأدنى منها ،و لذلك نجد أحد الفقهاء يقول"الناس يحتاجون إلى العلم و الدين كما يحتاجون إلى الطعام و الشراب"(القاضي عياض،1982 ،ص56).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ففي مجال علم القراءات فيعود الفضل في ازدهاره في بلاد الحجاز إلى علماء مالكية المغرب الأوسط الذين عملوا على نقل هذا الفن إلى بلاد الحجاز، حيث عرفت هذه البلاد عدد لا بأس به من المقرئين من المغرب الأوسط، نذكر منهم المقرئ عبد الله بن موسى الزواوي(ت734هـ) الذي كان من جلة المقرئين الصالحين الذين وفدوا إلى أرض الحجاز(محمد بن أحمد الحسني الفاسي ،1985م ،ص102) وقاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسى الهلالي القسنطيني(ت849هـ/1424م) الذي كان من القراء المشهورين المالكيين، انتقل إلى الحجاز و استقر بالمدينة المنورة مقرئا و محدثا(ابن القاضي المكناسي ، 1973 ص450) ،و يحي ابن عبد السلام ابن رحمون الشرف أبو زكرياء بن شهاب أبي العباس القسنطيني (ت843هـ/1419م) ، الذي كان من أشهر المقرئين بمكة المكرمة(السخاوي د.ت ص272)، و أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري(ت888هـ/1483م) جاور مكة المكرمة و اشتهر فيها قارئا،له عدة مؤلفات منها "تبصرة السائل عن مختلف المسائل"و التبيان و التسهيل" (السخاوي د.ت ص272)،

و يحي التلمساني الضرير (ق9هـ/15م) الذي ذكر لنا السخاوي أن إبراهيم بن أحمد الخجندي (ت851هـ) تلى عليه بالسبع((السخاوي د.ت ج1 ،ص105)،.

أما من علماء مالكية المغرب الأوسط الذين برعوا في علم الحديث نذكر يحي بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني(ت652هـ/1254م) ،كان مفسرا في مكة، من آثاره في التفسير نذكر" تفسير القرآن الكريم"(محمد بن الحسن الفاسي 1985 ج5ص486) ،ومحمد بن مختار الزواوي(ت660هـ/1260م) اشتهر في علم الحديث بأرض الحجاز و جلس فيها محدثا (محمد بن الحسن الفاسي 1985 ،ج5،ص350) ، و أبي محمد عبد الله بن موسى الزواوي(كان سنة730هـ) ،كان أحد علماء مكة في الحديث، ذكر لنا صاحب العقد الثمين أن يحي بن علي بن محمد بن أحمد القرشي العبدري(ت742هـ) ، قد سمع عنه بمكة الأحاديث و الآثار السباعية و الثمانية(محمد بن الحسن الفاسي ،ج7 ،1985 ،ص446)،و كذلك إبراهيم بن عبد الرحمن بن يحي بن أحمد بن سليمان الصدقاوي البجائي، فقيه مالكي له إلمام بعلم التفسير،سكن المدينة المنورة مدة ثم انتقل إلى مكة المكرمة و أقام بها مهتما بالحديث الى أن مات سنة882هـ /1399م(محمد بن الحسن الفاسي ج7 1985 ،ص352)و ابن الفخار محمد بن ميمون(ت801هـ/1399م) ، رحل إلى المشرق و دخل القاهرة ثم رحل إلى بلاد الحجاز و استقر في المدينة المنورة حيث جلس للتدريس و الحديث حتى وفاته(السخاوي ،دت ج1 ص93)، بالإضافة إلى أحمد بن

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يونس بن سعيد شهاب الدين القسنطيني(ت878هـ/1474م) انتقل إلى الحجاز سنة840هـ/1346م ،اشتغل بتدريس الحديث في المدينة المنورة، وهو تلميذ أبي عبد الله الحفيذ بن مرزوق التلمساني(ابن مريم، 1980 ،ص106)، و محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيذ التلمساني (ت842هـ -1348م) ، الذي كان متضلعا في الفقه المالكي و الحديث(التجيبي، 1975 م ص125).

و في مجال الفقه تجب الإشارة إلى أن انتشار الفقه المالكي بالحجاز عموما و المدينة المنورة خصوصا يعود الفضل فيه إلى أسرة ابن فرحون المغربية و على رأسها أبي عبد الله ابن فرحون(ت721هـ) ، الذي ساهم مساهمة فعالة في انتشاره في المدينة المنورة(التجيبي، 1975 م ص127).، ومن فقهاء هذه الفترة نذكر محمد عبد القوي بن عبد القوي بن أحمد البجائي (ت816هـ /1413م)وهو أحد العلماء المغاربة الذين تميزوا في علم الفقه، وقد قدم مكة واستقر فيها وجاور مدة ثلاثين عاماً، تخللنها فترات قليلة قضاها في الطائف، وخلال تلك الفترة تفرغ لتدريس الفقه والإفتاء، هذا ولم لم تذكر المصادر شيئاً من مصنفاته أو من درسوا عليه، وقد اتصف عبد القوى البجائى بالورع وكثرة العبادة، ولأهل مكة فيه اعتقاد بالصلاح والتقى(المقريزي. 1423هـ/2002م ، ص317) ونذكر كذلك الفقيه إبراهيم بن رجب بن حماد التلمساني(755هـ-1354م) ،كان مقيما في المدينة كان مجيدا لعلم الفقه و الحديث و اللغة انتفعوا منه الكثير من الطلاب الذين تخرجوا على يديه(الفاسي،1985 ، ج2 ص326)، وهكذا نجد أن علم الفقه من العلوم الدينية التي أقبل عليها علماء المغرب الأوسط ، فقد قام الكثير منهم بأداء فريضة الحج وجاور في مكة أو المدينة واشتغلوا بتدريسه في الحرمين الشريفين، واستفاد منهم العديد من طلبة العلم، مما أدى إلى تنشيط الحركة العلمية تلك الفترة.

* علوم اللغة العربية:

شارك علماء مالكية المغرب الأوسط في مهمة شرح قواعد العربية وآدابها فكان منهم علماء النحو والصرف والشعر والبلاغة بفنونها الثلاثة :المعاني، والبيان، والبديع، وفيما يلي نستعرض العلماء المغاربة الذين قاموا بتدريس اللغة العربية في الحرمين الشريفين، ونذكر منهم:محمد بن مبارك القسنطيني (ت868هـ/1463م) و هو من الذين قدموا إلى بلاد الحرمين وجاوروا فيها مدة ، وقد ذكر السخاوى أنه جاور في المدينة المنورة، واشتغل بتدريس اللغة العربية فيها، ،وامتدحه أهل المدينة لخلقه وعلم(السخاوي ،د.ت، ج8 ص295.). و كذلك يحي بن أحمد أبو زكرياء المعروف ب"العلمي" قصد الحج مرتين الأولى

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

سنة841هـ/1437م و الثانية سنة875هـ/1470م ،اشتهر بتدريس اللغة العربية هناك له العديد من المصنفات نذكر منها"شرح على المدوتة"،و " المختصر" شاهدها البدر القرافي و ذكر أنه كان تلف بأطرافها(السخاوي ،د.ت، ج8 ص295). و أحمد بن يونس القسنطيني(ت878هـ/1467م) ،نزيل الحرمين الشريفين جاور مكة و تصدى لتعليم اللغة العربية فيها((الفاسي ، 1985 ، ج5 ،ص472) ، أما في مجال الشعر فنذكر محمد بن عبد القوي البجائي الذي يسميه أهل الحجاز بشاعر مكة نظرا لبراعته في نظم الشعر(السخاوي ، 1399هـ/1989م ،ص274)، و يحي الهواري المالكي الذي اشتغل بتدريس اللغة العربية في المدينة المنورة(السخاوي، د.ت ج10 ص268).

2: العلوم العقلية:

من العلوم التي لم يغفل عنها علماء مالكية المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وقد تميز فيها العديد منهم ومن هؤلاء من اشتغل بتدريسها في بلاد الحرمين ،وكانت مشاركة علماء مالكية المغرب الأوسط في هذه العلوم بالحجاز قليلة و ذلك لأسباب مختلفة منها أساسا اهتمامهم بالعلوم الدينية ،و عدم استقرار العلماء المعروفين في العلوم العقلية كالطب خاصة بالحرمين الشريفين بسبب احتياج سلاطينهم لهم، إضافة إلى نفور عددهم من هذه العلوم خاصة علم التنجيم الذي اعتبر ضربا من الشعوذة لديهم(عامر مريقي، جامعة غرداية ص ص928، 929).. و من أهم علماء هذه الفترة:

*علم المنطق:

المنطق هو ميزان العلوم الذي يعرف به الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات(ابن خلدون ، د.ت ص. 527).

من علماء مالكية المغرب الأوسط الذين ساهموا في علم المنطق نذكر على سبيل المثال لا الحصر حمزة بن محمد بن علي بن حسن البجائي(839-902هـ/1453-1496م) ، و يعتبر من علماء المالكية الذين قدموا مكة للحج أكثر من مرة، اشتغل بتدريس المنطق و سمع منه طلاب العلم هناك(السخاوى د.ت ج3 ص167) ،و كذلك زميله منصور بن محمد بن عبد العزيز السلمي البجائي(كان حيا سنة 930هـ 1524م) وهو منطقي فرضي من فقهاء المالكية، أجازه السخاوي (السخاوى د.ت ج3 ص171)، وأسهم محمد بن أحمد الشريف أبو عبد الله التلمساني)ت 771 هـ /1370 م حامل لواء

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

المقولات وفارسها، كثيرا في هذا العلم حيث قال عنه المؤرخ يحي بن خلدون "لا يعزب عن علمه فن عقلي إلا وقد أحاط به" وأورد صاحب البستان، أنه كان "إماما في العلوم العقلية كلها منطقا وحسابا وتنجيما وهندسة وموسيقى وطبا وتشريحا وفلاحة".(ابن مريم، 1980 ص223.)

*علم الطب:

برز في هذا العلم حسن بن علي بن قنفذ–والد ابن قنفذ الخطيب(750هـ/1349م) ، الذي ألف كتابا في الطب أسماه " المسنون في أحكام الطاعون "(بلعربي خالد، 2020، ص209) وكذلك محمد بن إبراهيم بن الإمام أبي الفضل التلمساني(ت845هـ /1442م) الذي كانت له قدم راسخة في علم الطب (بلعربي خالد، 2020، ص264).

* علم الفلك و التنجيم:

ويعرفه ابن خلدون بأنه" علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة، ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية".(ابن خلدون 2004، ص571).

لم تزودنا المصادر التاريخية بعلماء المغرب الأوسط الذين قصدوا الحج خلال هذه الفترة و الذين كانت لهم مساهمات علمية في هذا العلم سوى عالم واحد و هو ابن مرزوق الخطيب(781هـ/1379م) الذي سافر ثلاث مرات للحج طالبا للعلم رفقة والده بل أصبح بعد ذلك مساهما في الحركة العلمية في بلاد الحجاز ،و قد كتب ابن مرزوق الخطيب في مجموعه يعدد حسناته و مآثره بقوله"...ألا يرعى لي مجاورة نحو اثني عشر عاما و ختم القرآن في داخل الكعبة و الأحياء في محراب النبي صلى الله عليه و سلم و الإقرار بمكة ولا أعلم من له هذه الوسيلة غيري أفلا يرعى لي الصلاة في مكة و غربيتي بينكم...." (المقري ،1968 ص415.)وساهم ابن مرزوق في تأليف كتاب في التنجيم(بلعربي خالد، 2020، ص213).

خامسا: تحليل النتائج:

ومن خلال الدراسة السابقة التي استعرضت فيها دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين خلال القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي ، قد اتضح من خلالها ما يلي:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

-تعرض بلاد المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة إلى اضطرابات سياسية، ناتجة عن محاولات ، الحفصيين في إفريقية تونس، والمرينيين في المغرب الأقصى المغرب إلى محاولة السيطرة عليه ، كما ظهرت في تلك الفترة الأطماع الاستعمارية البرتغالية والإسبانية، للسيطرة على المدن الساحلية لبلاد المغرب الأوسط.

-على الرغم من ذلك، فقد شهدت تلك الفترة نشاطاً للحركة العلمية ، ولم يؤثر الصراع السياسي على نشاط الحركة العلمية به ،فنشطت الرحلة إلى المشرق الإسلامي،خاصة إلى بلاد الحجاز و الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج والمجاورة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة وطلب العلم، أو تدريسه.

-لقد كان أداء فريضة الحج و الدافع العلمي هما العاملين الرئيسيين اللذين دفعا علماء مالكية المغرب الأوسط للرحلة إلى بلاد الحجاز ، ولعل بعد المسافة بينهما كان السبب وراء ظهور الطابع الروحي على الحياة العامة في بلاد المغرب.

-شهدت بلاد الحجاز، خاصة مكة والمدينة خلال هذه الفترة نهضة علمية كبيرة، تعددت فيها مناشط الحركة العلمية، وتنامت فيهما أعداد المهتمين بالعلم، و كذلك بلاد المغرب الأوسط مما دفع بشخصيات علمية من المغرب الأوسط للهجرة إلى هناك مما كان له الأثر الأكبر في النهضة العلمية.

- وأخيراً من الملاحظ أن أعداد العلماء في العلوم الدينية كانت أكثر من المجالات الأخرى وكذلك تميز العديد من علماء المغرب الأوسط في العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة والحساب ومن هؤلاء من اشتغل بتدريسها في الحرمين الشريفين.

خاتمة:

تتبعنا خلال هذه الدراسة دور علماء مالكية المغرب الأوسط في بلاد الحجاز خلال أكثر من ثلاثة قرون. فماهي الخلاصات التي يمكن الخروج بها من خلال كل ذلك؟

1-لم تؤثر المشاكل السياسية التي عاشها المغرب الأوسط خلال هذه الفترة علىالحركة العلمية التي ظلن نشطة به. فنشطت الرحلة إلى المشرق الإسلامي،خاصة إلى بلاد الحجاز و الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج والمجاورة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة لطلب العلم، أو تدريسه.

2-إن تطور الحركة العلمية بالمغرب الأوسط في هذه الفترة مرده إلى تشجيع السلاطين الزيانيين للعلم و العلماء و الى كثرة المدارس التي اهتمت بالعلم و التعليم .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

3- لم تعرف الحجاز استقرارا سياسياً خلال من القرن السابع الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري،لكن مع بداية القرن التاسع الهجري(15م) تغيرت الأوضاع و نعمت بلاد الحجاز بالاستقرار السياسي الذي انعكس على تطور الحركة العلمية بها و ذلك راجع بالأساس إلى اهتمام الحكام الأشراف في بلاد الحجاز بالعلم و العلماء والاهتمام بهم والتقرب إليهم، والإنفاق على مؤسسات التعليم فيها كالمدارس والكتاتيب والأربطة.وكانت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزين هامين من مراكز العلم في الدولة الإسلامية، ويُعد الحرمان الشريفان من أبرز المراكز العلمية في هاتين المدينتين.

4- ساهم كل من العامل الديني و العلمي في رحلة علماء مالكية المغرب الأوسط إلى بلاد الحجاز ، فقد كانت الرغبة الشديدة في أداء فريضة الحج مقرونة بطلب العلم، واعتبرت الرحلة للحج فرصة عظيمة لتلقى العلم، والسماع من كبار العلماء في كل فن وعلم خلال تلك الرحلة، كما كانت للمشاركة في دفع الحركة العلمية ببلاد الحجاز.

5- تعددت فيها مناشط الحركة العلمية ببلاد الحجاز، وهو دفع بشخصيات علمية مالكية خاصةمن المغرب الأوسط للهجرة إلى هناك مما كان له دور كبير في تفعيل الحركة العلمية بها، و يظهر ذلك جليا في كتب التراجم التي حوت الكثير منهم، فاشتغلوا بتدريس العلوم المختلفة.

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا- المصادر

1. ابن الأحمر اسماعيل، أعلام تاريخ المغرب والأندلس، تح: الداية محمد رضوان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1976،1.
2. ابن الأحمر اسماعيل، روضة النسرين في دولةبنى مرين، المغرب، المكتبةالملكية، د.ط، 1962.
3. البستاني بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، الشركة الوطنية، د.ط، 1980.
4. التجيبي القاسم بن يوسف،مستفاد الرحلةوالاغتراب،تح: عبد الحفيظ منصور، ليبيا،الدار العربية،د.ط، 1975.
5. التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله،نظم الدرو العقيان في شرف ملوك بني زيان، تح: محمود بوعياد،الجزائر، المؤسسة الوطنية د.ط، 1985.
6. ابن خلدون عبد الرحمن، التعريف بابن خلدون شرقا وغربا، تح: محمد بن تاويت الطنجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

7. ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، مكة المكرمة، دار الباز، (د.ط، د.ت).
8. السخاوي شمس الدين، التحفةاللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، د.ط، 1989.
9. السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار الجيل، د.ط، د.س.
10. ابن صعد محمدالأنصاري التلمساني،روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين،تح:يحي بوعزيز،الجزائر منشوراتANEP ،ط1 ، د.س
11. الفاسي محمد بن أحمد الحسني، العقد الثمين في معرفة البلد الثمين،تح: فؤاد السيد، مؤسسة الرسالة، ط2، 1985.
12. القاضي أحمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس،المغرب، دار المنصور، د.ط، 1973.
13. القاضي عياض، الغنية، تح: ماهر حرار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، 1982.
14. القزويني أبو عبد الله بن يزيد، سنن ابن ماجة،تح: بشار عواد معروف، بيروت، دار الجيل،د.ط، 1998.
15. ابن مرزوق أبوعبد الله محمّد،مناقب المرزوقي،دراسة وتحقيق:سلوى الزاهري، المغرب،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 2008.
16. ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، درا وتح: ماريا خيسوس بيغرا، الجزائر، الشركة الوطنية د.ط، 1981.
17. المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح: محمود الجليلي، بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط1،2002.

ثانيا– المراجع

18. بلعربي خالد، ورقات زيانية–دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني–، الجزائر، دار هومة، د.ط، 2014.
19. بيوميمحمد علي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، مصر، دار القاهرة، ط1، 2006.
20. الزركشي محمد بن ابراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، د.ط، د.س.
21. الشوابكة نوالعبدالرحمن، أدبالرحلاتالأندلسيةوالمغربيةحتىنهايةالقرنالتاسعالهجري، الأردن، دار المأمون، د.ط، د.س.
22. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514–1830، الجزائر، دار هومة، ط1، 2005.
23. الفيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، الجزائر، دار موفم،د.ط، 2002.
24. المعلمي عبداللهعبدالرحمنبنعبدالرحيم،أعلامالمكيينمنالقرنالتاسعإلىالقرنالرابععشرالهجري،مؤسسةالفرقانللتراث، ط1، 2000.
25. المكيمحمد الأمين، خدمات العثمانيين في الحرمين الشريفين ومناسك الحج، تر: د. ماجدة مخلوف، مصر، دار الأوقاف العربية، ط2، 2005.

ثالثا– الأطاريحالجامعية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

26. زواوي عبد الرؤوف أحمد، العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والحجاز خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين أطروحة دكتوراه الطور الثالث(مرقونة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة حمة لخضر الوادي،2021-2020.

27. مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط(927-588هـ/1520-1192م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة،2009-2008.

28. المطيري نبيلة بنت سعود، الحياة العلمية في مكة المكرمة 1256-1228هـ، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة الملك سعود، 1436هـ/2010م.

رابعا- المقالات

29. بلحميسي مولاي، 1975، نهاية دولة بني زيان،مجلة الأصالة، ع: 26.

30. بوعزيز يحي، 1975، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية،مجلة الأصالة، ع:26.

31. حاجيات عبد الحميد، 1997، تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط، مجلة الدراسات التاريخية الصادرة عن معهد التاريخ جامعة الجزائر، ع:10.

32. خلف محمود محمد، 2020، الصلات العلمية بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة-دراسة حضارية في التأثير والتأثر-،مجلة الجامعة الإسلامية بمينيسوتا للبحوث العلمية والدراسات الأكاديمية بأمريكا،م2، ع6.

33. الصادقي حسن، 2015، الوجود المغربي في المشرق من خلال كتب التراجم المشرقية، مجلة المناهل، ع:35.